بدعم سعودي.. ترميم شامل يعيد الحياة لقصر سيئون التاريخي

1 يوليو، 2025

بعد سنوات من التدهور الذي كاد يهدد وجوده كرمز تاريخي عريق، يستعيد قصر سيئون في حضرموت، شرق اليمن، بريقه الأصلي بفضل جهود البرنامج السعودي لتنمية وإعمار اليمن، الذي يقود أعمال ترميم شاملة تعيد الحياة إلى هذا المعلم الحضاري المتميز. هذه الجهود تحافظ على مكانة القصر كشاهد حي على تاريخ يمتد لأكثر من خمسة قرون.

يتكون القصر من سبعة طوابق تضم 96 غرفة متنوعة الأحجام

يُعتبر قصر سيئون تحفة معمارية فريدة، تجسد في تصميمه المتناغم روعة الهندسة المعمارية اليمنية الأصيلة. لقد اكتسب القصر مكانة رمزية عالية، تجلت في اختياره سابقًا كواجهة للعملة اليمنية، اعترافًا بقيمته التاريخية والثقافية والجمالية.

لا يقتصر تميز هذا الصرح الطيني على موقعه الاستراتيجي على قمة صخرة في قلب مدينة سيئون، مع إطلالته الخلابة على مدينتي شبام

وتريم فحسب، بل يمتد إلى كونه واحدًا من أكبر المباني الطينية في العالم، ومعلمًا بارزًا ليس فقط على مستوى اليمن، بل على مستوى العمارة الطينية العالمية.

وشُيّد القصر في الأساس كحصن منيع لحماية مدينة سيئون، لكن مع مرور الوقت والتعديلات اللاحقة، تحول ليصبح المقر الرسمي لسلاطين الدولة الكثيرية الذين حكموا وادي حضرموت في فترات سابقه، وهو ما أكسبه أيضًا اسم "قصر السلطان الكثيري".

وعلى الرغم من أهميته التاريخية، لم يسلم هذا المعلم من تقلبات الزمن وتأثير العوامل الطبيعية، فقد تعرض القصر لأضرار جسيمة نتيجة للإهمال والأمطار الغزيرة، وبلغ الأمر ذروته في عام 2022 عندما سقط جزء كبير من سوره الخارجي، مما أثار قلقًا واسعًا حول مصير هذا الصرح، هذه الحادثة دفعت المجتمع المحلي والسلطات إلى المطالبة بترميمه للحفاظ على هويته وجماله.

يقول حسن أحد القاطنين على مقربة من محيط القصر: "خلال السنوات الماضية كنا دائمًا نشعر بالقلق على القصر في موسم الأمطار، لقد عايشنا تفاقم حالة القصر وتدهوره التدريجي، وكنا نخشى لحظة سقوطه الوشيك تحت وطأة الأمطار الغزيرة التي لم ترحمه، والإهمال الذي طاله، إضافة إلى غياب أعمال الصيانة الدورية التي كان من شأنها أن تحافظ على تماسكه وصلابته".

يضيف حسن "نشهد اليوم عودة الحياة إلى القصر بفضل الجهود التي يبذلها البرنامج السعودي لتنمية وإعمار اليمن في أعمال الترميم الجارية، ونشعر بسعادة كبيرة لإنقاذ وحماية هذا المعلم الأثري الذي يمثل جزءًا أصيلاً وهامًا من تاريخنا، ويعكس هويتنا الحضارية، ويشكل إرثًا ثقافيًا نفخر به ونحرص على صونه للأجيال القادمة.

واستجابة لطلب الحكومة اليمنية ودعمًا لجهودها لحماية الآثار، أطلق البرنامج السعودي لتنمية وإعمار اليمن مشروعًا شاملاً لترميم قصر سيئون، بتمويل من البرنامج وتنفيذ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، وبالتعاون مع وزارة الثقافة في المملكة والهيئة العامة للآثار والمتاحف في اليمن، وبدعم لوجستي وفني من الصندوق الاجتماعي للتنمية في اليمن.

وشهدت أعمال إعادة التأهيل إصلاح السور الخارجي المتضرر والجدران الطينية التي تشكل الهيكل الأساسي للقصر، كما أوليت عناية خاصة لترميم السقوف الخشبية والأبواب والنوافذ المنحوتة، التي تعكس

براعة الحرفيين في اليمن، ولم يغفل المشروع أهمية الحفاظ على الهوية المعمارية الفريدة للقصر، إذ تضمنت الأعمال إعادة تأهيل الزخارف والنقوش التقليدية التي تزين جدرانه وأروقته، كما شمل المشروع تدريب فرق محلية من مهندسين وفنيين على أعمال الترميم الدورية لضمان استدامة الصيانة مستقبلاً.

وفي تصريح سابق خلال حفل تدشين مشروع ترميم القصر في نوفمبر 2022م، أكد المشرف العام للبرنامج السعودي لتنمية وإعمار اليمن السفير محمد بن سعيد آل جابر، أن مشروع ترميم قصر سيئون الثقافي والتاريخي؛ يهدف إلى حمايته بصفته معلمًا ومركزًا ثقافيًّا في بيئة حضرية، الذي ستتم أعماله عبر أيدي عاملة يمنية وبالتعاون مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف في اليمن.

ويتكون القصر من سبعة طوابق تضم 96 غرفة متنوعة الأحجام، من بينها 45 غرفة كبيرة و14 مستودعًا, إضافة إلى العديد من الملحقات الأخرى، ويشكل القصر اليوم مركزًا ثقافيًا مهمًا، حيث يُستخدم جزءٌ منه كمتحف أثري يحتوي على العديد من الآثار والصور والقطع الأثرية النادرة التي يعود تاريخها إلى آلاف السنوات، كما يضم القصر مكتبة عامة تخدم الباحثين والمهتمين بالمعرفة.

يُذكر أن بناء قصر سيئون استغرق نحو 15 عامًا، حيث شُيّد على مساحة واسعة تقدر بنحو 5 آلاف و460 مترًا مربعًا باستخدام الطوب اللبن كمادة أساسية، وجمع تصميمه في مرحلته الأولى بين مختلف الفنون المعمارية، حيث تظهر تشكيلات هندسية بديعة، مما يعكس التنوع الثقافي والفني الذي ساد المنطقة في تلك الحقبة.

ويُعدّ مشروع ترميم قصر سيئون جزءًا من حزمة واسعة تضم 264 مشروعًا ومبادرة تنموية نفذها البرنامج السعودي لتنمية وإعمار اليمن في مختلف أنحاء اليمن تغطي 8 قطاعات أساسية وحيوية هي: التعليم والصحة والنقل والطاقة والمياه والزراعة والثروة السمكية والبرامج التنموية ودعم وتنمية قدرات الحكومة.